محاولات في ترجمة مصطلحات نظرية النص والعلاقات النصيــة

محمد خير البقاعــي

أستاذ النقد الأدبي المشارك

في جامعة حمص

لأمر ما كان «المصطلح» على وزن «المنزلق»؛ وقد حدث لكاتب هذه السطور أنْ جرّب خطورة هذا المنزلق عندما أراد في عام ١٩٨٧م، أن يترجم إلى العربية مقالة الناقد الفرنسي رولان بارت R. Barthes «نظرية النص» ومقالتي مارك أنجينو Marc Angenot وليون سمفيل Léon Somville عن التناصية والصفحات الأولى من كتاب «طروس = Palimpsestes» لجيرار جينيت Gérard Genette[١].

لقد وجد نفسه أمام عدد من المصطلحات التي لا عهد له بها، والتي تتضارب المعاجم اللغوية الحديثة في نقلها إلى العربية مستخدمة وسائل وضع المصطلح العربي التي حَدّدها الباحثون العرب في مجال النظرية المصطلحية العربية[٢]، وهي خمس وسائل تنضوي تحت لواء ما يُسَمّى نظام الوضع، وهي: الاشتقاق، والمجاز، والنحت، والتعريب، والارتجال[٣].

بيد أن هناك نظاماً آخر هو نظام الترجمة، والمصطلحي مدعو بالضرورة إلى اعتماد منهجيتين في الترجمة من الصعب أن يخير بينهما وهما : الترجمة المباشرة والترجمة الجانبية؛ وتعتمد الترجمة المباشرة على (أ) الترجمة بالنسج (ب) الترجمة بالتفخيم (ج) الترجمة المستحيلة.

(١) ستصدر هذه النصوص مذيلة بثبت لمصطلحات نظرية النص والعلاقات النصية في كتاب عن الهيئة المصرية للكتاب بعنوان «آفاق التناصية: المفهوم والمنظور» ضمن سلسلة: دراسات أدبية.

(٢) انظر: د. محمد رشاد الحمزاوي، في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة. مجلة المعجمية التي تصدر عن جمعية المعجمية العربية بتونس، العدد الثامن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٧ وما بعدها، وانظر في العدد نفسه مقالة للدكتور إبراهيم بن مراد بعنوان: في المصطلحية وعلم المعجم، ص ١٥ وما بعدها.

(٣) انظر: د. خسارة ممدوح، التعريب والتنمية اللغوية، دار الأهالي، دمشق ١٩٩٤م، ص ١٤-١٩.

أما منهجية الترجمة الجانبية فتعتمد على: (أ) الترجمة بالتكافؤ (ب) الترجمة بالمؤالفة. (ج) الترجمة بالتحوير(٤).

وهناك أيضاً النظام الصوتي، والمقصود به استعمال الأصوات العربية لنقل أصوات اللغات الأخرى الواردة في الكلمات المعربة والدخيلة في العربية نقلاً صوتياً علمياً حسب نطقها عند أهلها، ونحن ندعو مع الدكتور الحمزاوي إلى استخدام المنهجية التي عرضها ابن مراد لتقريب الأصوات؛ لأنها كما يقول د. حمزاوي «أشمل نظام عربي معروف اعتمد على تجربة القدماء من خلال نصوصهم ولا سيما النصوص الطبية التي كثرت فيها الدخيلات، وعلى تجربة المحدثين»(٥). وخاتمة الأنظمة السابقة كلها وركيزتها ومقياسها ونموذجها هو نظام التوحيد والتقييس كما يقول الدكتور الحمزاوي لأنه يجمع كل مشكلاتها للنظر فيها حسب منهجية مركزة ومبررة، ويجمع كل حلولها في نطاق رؤية شاملة مشتركة، ويقوم مقام النموذج الذي يحل مشكلات نظامي الوضع والترجمة، ويسعى نظام التقييس

(٤) الحديث عن منهجي الترجمة والأساس النظري الذي ننطلق منه يعتمد على ما جاء في مقالتي الدكتور إبراهيم بن مراد والدكتور الحمزاوي المذكورتين في الحاشية قبل السابقة آخذين في الحسبان الأفكار التي جاءت في: «منهجية في تعريب الأصوات الأعجمية» لابن مراد المنشورة في مجلة المعجمية، العدد الأول ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٩ وما بعدها والمعاد نشرها في كتابه دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م، وقد عرض فيها منهجيات متعددة منها منهجيته، ومقالته «من قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييمه في اللغة العربية» المنشور أولاً في المجلة العربية للثقافة، العدد ٢٢، رمضان ١٤١٢هـ. مارس (آذار) ١٩٩٢م، وفي مجلة المعجمية مع بعض التعديل، العدد المذكور في الحاشية قبل السابقة. ومن المحاولات الرائدة في المصطلح ووضعه محاولة المرحوم الطيب البكوش عندما ترجم في عام ١٩٨١م، كتاب جورج مونان، مفاتيح الألسنية، والمقدمة التي وضعها الدكتور عبد السلام المسدي في أول معجمه «قاموس اللسانيات»، الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م ونشير أيضًا إلى ما قدمه الدكتور محمد عناني في معجم «المصطلحات الأدبية الحديثة» دار نشر لونجمان - القاهرة ١٩٩٦م الذي يعد تكملة لمعجم مجدي وهبة «معجم المصطلحات الأدبية الحديثة» الصادر عن مكتبة لبنان عام ١٩٧٤م.

(٥) ذكر ذلك في مقالته: في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة المشار إليها في الحاشية (٢) من هذا البحث، انظر ص ٣٢ - ٣٣ من المقالة.

إلى إيجاد منهجيـة أو طريقة لتوحيد المصطلح العربي، وما دام التوحـيد غير ممكن لأنه مثالي أو عشوائي ولا يعـتمد على حجج لسانية فقد تم الانتـقال من التوحيد إلى التقييس الذي يقابل Standardization الإنجليزية و Normalisation الفرنسية وقد فصل الدكتور الحمزاوي في الحديث عن هذا النظام، وقال إن له مبادئ أربعة هي:

أ ـ الاطراد أو الشيوع أو الحجة اللغوية.

ب ـ مبدأ الإيجاز أو الحجة الصرفية.

ج ـ مبدأ الملاءمة أو حجة الاستعمال.

د ـ مبدأ التوليد أو حجة النماء المصطلحي.

تلك هي الأنظمة التي احـتوتها محـاولة تصور نظام مصطلحي عـربي شامل، قدمها الدكتور الحمزاوي، وقال: إنها مأخوذة من الرصيدين القديم والحديث، وإنه استمدها من محاولات عدة مما يدل على أنها جـماعية تشهد بالجهود المبذولة التي تسعى لخلق عقلية عربية مـشتركة في هذا الميدان «لأن العلم لا ينشأ ولا يتطور إلا بالاتفاق على ذهنية وعقلية علميتين مشتركتين، حتى يكون التواصل والتعاون»[٦]. ولما كانت النظرية العامة للمصطلحية حقلاً تتاخِم حدوده حدود اللسانيات والمنطق وعلم الوجود وعلم المعلومات وغيرها من الحقول الموضوعية، ولما كانت أقرب إلى أن تكون أساسًا علميًا للممارسة منها إلى المدرسة الفلسفية لأن جُلَّ مبادئها مستقاة من التجربـة العملية ولأن قضاياها الجـوهرية تبدو في العلاقات الـتصورية وأنماط الرموز اللغوية[٧]، لما كان كل ذلك، فإن من الواجب علـى كل مصطلحي عربي

(٦) الحمزاوي مقالته المذكورة في الحاشية (٢)، ص ٢٧، ٣٨.

(٧) Halmut felber، هـ. فيلبر، النظرية العامـة للمصطلحية، أساس نظري للمعلومات، مجـلة المعجمية (تونس)، عدد ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٢٦؛ وقد ترجم هذه المقالة د. محمد حلمي هليل ود. سعـد مصلوح. وانظر للدكـتور هليّل مقـالة بعنوان: المترجم العـربي والمصطلح الفني في مجـلة كلية الآداب، جـامعـة الإسكندرية، مـجلد ٣٩، ٩١- ١٩٩٢م، ص ٢٩ وما بعـدها فـقد مـيز بين عـمل المصطلحي والمترجم.

أن يكون عارفًا للغة العربية مجيدًا لها ولقوانينها وقواعدها، كما يكون متضلعًا في لغة أو لغتين أجنبيتين من اللغات العلمية الرائدة ينقل منها إلى العربية ومن العربية إليها بيسر وقدرة؛ لأنّ أي نظرية مصطلحية مقترحة تستوجب بالضرورة أن يكون المصطلحي لغوياً لسانياً واختصاصياً في علمه، فضلاً عن كونه مترجماً ماهراً ذا تجربة واسعة، وعن كونه مصطلحياً مختصّاً في علم المصطلح أو المصطلحية وقضاياها. تلك هي صفات المصطلحي كما طرحها الدكتور الحمزاوي وهي صفات لا تتوافر إلاّ في عدد قليل من المؤهلين على مستوى الوطن العربي والذين ينبغي أن يكونوا في طليعة العمل المصطلحي العربي القائم على الرؤية الواضحة والمنهج العلمي. ولما كان بحثي هذا ينصب على الأسس التي ارتضيتها لترجمة مصطلحات نظرية النص والعلاقات النصية، فإنّه ينضوي تحت لواء نظام الترجمة من أنظمة النظرية المصطلحية العربية التي عرضها الدكتور الحمزاوي وقدمناها في مقدمة هذا البحث ملخصة. والحديث عن مصطلحات نظرية النص والعلاقات النصية يرتكز على مجالين هما النقد الحديث واللسانيات، وهما مجالان متداخلان، وأزمة المصطلح في أحدهما لا تقل عن الأزمة في الآخر لأنه لم يعد ممكناً اليوم مناقشة المبادئ الأساسية للمشاريع النقدية المعاصرة دون حضور قوي ودائم للدراسة اللغوية. لقد وجد نقاد الأدب في اللسانيات وسيلة توفيقية تقضي على كثير من تناقضات تطبيق المنهج التجريبي العلمي على حقيقة أدبية أو شاعرية وتحقق علمية الأدب.

والنص مصطلح شاع استخدامه مع الحداثة في النصف الثاني من القرن الحالي، وأصبح دليلاً على تحول نقدي من التقليد إلى الحداثة. وقد وضح رولان بارت في مقاله «من العمل إلى النص» طبيعة هذا التحول، وحدّد الفرق بين المصطلحين

(Oeuvre)، عـمل و (Texte)، نص[٨]. لقـد رسم بارت، كـمـا تقـول باربرا جونسون «نظرية للأدب مؤسسة على التـفرقة بين الفكرة الكلاسيكية عن (العمل، Oeuvre) الأدبي، المنظور إليه على أنه شيء مغلق منتـهٍ، ويمكن الأخذ به بوصفه تمثيـلاً للغة، والـفكرة الحديثـة عن النص المنظور إليه بوصـفه عـملية مـفتـوحة، لانهائية، مولدة للمعنى، ومدمرة له معًا، وهكذا لم يعد "العمل" و"النص" نوعين مختلفين لشيء واحد، ولكن طريقتين مختلفتين من النظر إلى الكلمة المكتوبة»[٩]. وإن ما لفت نظر بارت هو «التوتر» بين مـفهوم الأدب ومفهوم النصـية، ففي حين كان النظر إلى الأدب بوصفـه سلسلة من «الأعمال العظيمـة» المتفردة والدالة على نحو عالٍ، فإن النصية مظهر لقوة دلالة ومحوٍ مـفتوحة النهاية، ومتنوعة، وتمزيقية تنتهك كل اكـتمال، قوة مـغالة حتى داخل «الأعمـال العظيمة» نفـسها[١٠]. أما «نظرية النص» التي عُدّت عـند ظهورها منهجـاً نقدياً جديداً ودقيـقاً فقـد نسجت خيوطها جوليـا كريستيفا في كتابيهـا «بحوث من أجل تحليل علاماتي»[١١] و«نص

(٨) انظر: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢)، ذو الحجة ١٤١٨هـ / أبريل (نيسان) ١٩٩٨م، ص ٨٦، ٣٤٩ - ٣٥٠. وانظر في مصطلح «النص» مقالة بعنوان «إضاءات لقضية النص في التراث العربي»، مجلة جامعة البعث ـ حمص ـ سورية، ع ٩، أيلول ١٩٩١م، ص ١٤٥- ١٦١.

(٩) انظر : بول ريكور: مكانتـه في النقد الأدبي ونظريته في الـتفسيـر، مقالة للـدكتور حسـن البنا عزالدين (مخطوط سيصدر ضمن أعمـال مؤتمر النقد الأدبي الدولي، القاهرة، ٢٠- ٢٤ أكتوبر ١٩٩٧م) ص ٨ من الحواشي. وانظر كتاب الدكتور عبد العـزيز حمودة المذكور في الحاشية السابقة، ص ٣٤٩- ٣٥٠، وكتـاب د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم الـنص، عالم المعرفة الكويتـية ١٦٤ آب ١٩٩٢م، ص ٢٣٠ وانظر ترجـمتنا مقـال بارت «من العمل إلـى النص» المنشورة في مـجلة شؤون أدبيـة، الإمارات العربـية، العدد ١٢، ١٩٩٣م، ص ٥٩ - ٧٠ وهو المـقال الذي ينقل عنه الدكـتور حـمودة في كـتابه المذكور أعلاه، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(١٠) باربرا جونسون، الكتابة، ص ٤٠ عن مقالة د. حسن البنا عزالدين المذكورة في الحاشية (٩).

(11) Kristeva Julia: Séméiotiké, Recherches Pour une Sémanalyse, Seuil..., 1969.

الرواية»[١٢] حددت فيهما المصطلحات الرئيسة لهذه النظرية، ثم جاء رولان بارت فطور عملها وقدمه في مقالة عنوانها «نظرية النص»[١٣]. أمّا العلاقات النصية Re-lations Textuelles فإنه مصطلح استخدمه جيرار جينيت في كتابه «طروس، Pal-impsestes» الذي يُعَدّ تعديلاً للمنهج المتسرع الذي عرضه جينيت نفسه كما يقول في كتابه «مدخل لجامع النص» ففي هذا الكتاب الأخير يقول إن موضوع الشعرية هو النص في حالته الانفرادية وهو ما عدل عنه في «طروس» ليقول إن موضوع الشعرية الحقيقي هو النص في حالته الاتساعية أو أدبية الأدب. وقد حاولنا ترجمة الصفحات الأولى من كتاب «طروس» (١- ١٦) التي تحدث فيها جينيت عن رؤيته النظرية، واعترض سبيلنا في هذه الترجمة نوعان من المصطلحات: نوع استقر نسبيّاً لأنه أصبح متداولاً ومفهوماً ويتناسب في مبناه ومعناه مع المصطلح الغربي، ومثال ذلك مصطلحا signifiant, signifié الدال والمدلول اللذان استقرا في المعاجم اللسانية الحديثة، ومثل ذلك مصطلح signe الذي يترجم بـ«علامة»، ولكننا نجده في تراجم بعض إخوتنا في لبنان ومعاجمهم يترجم بـ«إشارة ورمز» وفي هاتين الترجمتَين اشتراك يخلق ضرباً من اختلاط "signe" مع "symbole". أما مصطلح "signification" الذي كنت أظنّ أنه قد استقرت ترجمته على «دلالة» إلاّ أن الدكتور سعيد علوش[١٤] يترجمه بـ«التدليل» ويضع له الدكتور بسام بركة مقابلين «دلالة ومعنى»[١٥]. ولا بدّ هنا من الوقوف في الحديث عن هذا المصطلح الشائع

(12)Kristeva Julia: Le texte du roman, Mouton publishers,. 1979

(١٣) ترجمناها ونشرتها مجلة «العرب والفكر العالمي» في عددها الثالث، صيف ١٩٨٨ (ص ٨٧- ١٠٣). وانظر:

Barthes R., La théorie du texte, in l'Encycolpédie universalis, 1980, pp. 1013 - 1017.

(١٤) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، سوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

(١٥) بسام بركة: معجم اللسانية، جروس - برس ، طرابلس، لبنان، بلا تاريخ، ص ١٨٧.

في الدراسات اللسانية عند مصطلح يكاد يختص بنظرية النص وهو مصطلح "signifiance" الذي يترجمه علوش بـ«التدليل» (1) ويعطي المعنى نفسه لـ signification" «التدليل» (2) أما بركة فيترجمه بـ«دلالة» والدكتور المسدي بـ«إدلال»، وآخرون بـ«التدلال» وترجمه الدكتور منذر عياشي بالإدلال تبعاً للمسدي وهو مصطلح أوجدته كريستيفا وترجمناه في «نظرية النص» بالتمعني، لأنّ الدلالة تصبح مفهوماً لا يفي بالغرض عندما نتصور النص كإنتاج (وليس كمُنتج) وإنّه من الضروري التمييز بين الدلالة التي تنتمي على صعيد الإنتاج إلى الأداء والاتصال، وبين العمل الدلالي الذي ينتمي إلى صعيد الإنتاج أي إلى المؤدّى والترميز: إنّ ذلك العمل هو الذي نسميه التمعني عرفه رولان بارت في لذة النص (٩٧ النص الفرنسي) فقال: «ما التمعني؟ إنّه المعنى عندما يُنتج شهوانيّاً»(١٦). وهناك في هذا التعريف جانبان هما المعنى المنتج ولكن بشهوانية لها علاقة باللذة وبالمادية. ووجدنا أن كلمة التمعني توفر في العربية هذين المعنيين معاً

(١٦) رولان بارت: لذة النص، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٢م، ص ١٠٥؛ وانظر ترجمتنا بالاشتراك المنشورة في العرب والفكر العالمي، العدد العاشر، ربيع ١٩٩٠م. أطرف ما أصاب هذا المصطلح «التمعني» أنّه تحوّل عند الأستاذ عدنان بن ذريل إلى تمعين وذلك في مقالة له في صحيفة الأسبوع الأدبي، العدد ٣٧٢، ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٩٣م عنوانها: «كتاب لذة النص، وقفة سريعة على التمعين فيه» ولا وجه لما ذكر وإنما هو «التمعني» وما عنده خطأ مطبعي في المصدر الذي أخذ عنه ابن ذريل مصطلحنا دون ذكر. ونشير إلى أن د. عياشي ترجم المصطلح بـ«معنى» في لذة النص، ص ٣٧. قارن بترجمتنا المذكورة أعلاه. وانظر مقالة «الكتابة ومفهوم النص»، للدكتور عبد الملك مرتاض، مجلة اللغة والأدب التي تصدرها جامعة الجزائر - معهد اللغة العربية وآدابها، العدد ٨ الخاص بملتقى علم النص ١٩٩٦م، ص ٣١- ٣٢. ورأيناه يقول في حديثه عن مقالة رولان بارت «نظرية النص»: «هذا وقد ترجم إلى العربية هذا النص محمد خير البقاعي (العرب والفكر العالمي ع ٣/٨٨ و ٨، ٨٩- ١٠٣) وعلى الرغم مما بذل فيه على مستوى المصطلح من عناء إلاّ أن ترجمته في رأينا ناقصة من أجل ذلك عولنا على شيء من ترجمتنا الشخصية استشهدنا به من بعض نص بارت»، وهو في الحاشية رقم (٣٨) من مقاله يثبت مقطعاً من ترجمتنا والمقارنة بين ترجمتنا وترجمته التي أثبتها في صلب مقالته تبرز عكس ما يقوله في تعليقه.

فالعامة تقول: فلان يتمعنى في الأغنية الفلانية أي أنه يفهمها ويلتذ بها في آن معاً، وهذا الفعل وإن لم تستخدمه العرب فإنه على وزن من أوزانها تمفعل، ونحن نقول اليوم في القياس المستحدث عليه تمعنى يتمعنى، وإنّ أية زيادة تلحق الفعل تكسبه معنى، وقلنا تَمَعْنى على وزن تمفعل لنصل إلى حالة الفهم والاستمتاع.

وقد ترجم هذا المصطلح مترجما كتاب علم النص[١٧] بـ«الدلالية» وتقول جوليا كريستيفا: «نعني بالدلالية (التمعني) العمل المتعلق بالتمييز والتنضيد والمواجهة الذي يُمارس داخل اللسان، ويطرح على خط الذات المتكلمة سلسلة دالة تواصلية ومبنية نحوياً، وسيكون على التحليل الدلائلي الذي سيدرس هذه الدلالية وأنماطها داخل النص أن يخترق الدال ومعه الذات والسلامة والتنظيم النحوي للخطاب بغية الوصول إلى الأفق الذي تتجمع فيه بذور ما سيتكفل بعملية الدلالة في حضور اللغة». وقد رأيت بأخَرَةٍ أنَّ الدكتور عبد الملك مرتاض ناقش ترجمتنا هذا المصطلح في مقالة له عنوانها «الكتابة ومفهوم النص» فقال: «ترجم هذا المفهوم محمد خير البقاعي بـ"التمعني"، ونحن نعتقد أنّ أصل الوضع الفرنسي، من الوجهة الاشتقاقية إنما هو آت من جذر (Signifiant) (دال)، (Signifié) (مدلول)، إلخ؛ وأن "المعنى" في أصل وضعهم هو (Le sens): فيكون "التمعني" كما نرى مصطلحاً تقريبياً، لا دقيقاً، من أجل ذلك اقترحنا عوضاً عنه مصطلح "التمدلل" . . .» وما يهمنا أنّ مرتاضاً ـ وإن كان قد قدّم مصطلحاً آخر ـ إلا أنّه اتبع طريقتنا في توليد المصطلح[١٨].

(١٧) جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ١٩٩١؛ وهو عبارة عن أربع مقالات مأخوذة من كتاب كريستيفا المذكور في الحاشية رقم (١١).

(١٨) عبد الملك مرتاض: الكتابة ومفهوم النص، مذكور في الحاشية (١٦)، ص ٣١؛ وانظر كتاب: المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سبق ذكره في الحاشية (٨) فهو في ص ٢٧٤، يقول إن «التدليل» هو عملية التوصيل ذاتها من طرف إلى آخر، وقد حصل نقل جعل الدلالة Signification مكان Siginficance «التدليل» Siginficance . وانظر ص ٨٩ حيث يقابل Signification بـ«دلالة».

ولنظرية هذا النص مصطلحات أخرى كانت لنا معها وقفة متأنية عندما ترجمنا مقالة بارت «نظرية النص» وكتابه لذة النص[١٩]، وقد اضطربت المعاجم اللغوية الحديثة في ترجمتها مما يجعل أمر استخدامها يتوقف على اختيار يقوم به المترجم وليس على قناعة تفرض عليه ذلك الاستخدام. أحد هذه المصطلحات مستقرّ وهو Productivité = الذي يترجمه كل من اشتغل بنظرية النص بـ"إنتاجية". ونجد لجوليا كريستيفا مقالاً عنونته "La productivité dite texte" وترجم بعنوان «الإنتاجية المسماة نصاً»[٢٠] وهي إنتاجية يتصل فيها صاحب النص وقارئه.

وسنقف وقفة مفصلة عند ثلاثة مصطلحات أخرى هي: Phéno- texte و Géno- texte و Intertexte لنبرز اختلاف أصحاب المعاجم في ترجمتها، وما أدى إليه قصور الفهم في أحدها مع أننا نترجمه جميعاً بمقابل واحد إلاّ أن سوء فهمه قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه إن لم نتدارك الأمر.

أبدأ بمصطلح Phéno- texte الذي يترجمه المسدي بـ«بنية الأداء» بينما هو عند علوش «النص التام»، وعند بركة «نَصٌّ منجز»، وعند الشملي وعبد اللّه صولة ومحمد القاضي[٢١] «النص الظاهر»، وهو عند عياشي «النص - الظاهرة» (لذة النص ١١٢) وترجمناه نحن في «نظرية النص» بـ«خِلْقة النص»، وهي «الظاهرة الكلمية كما تبدو في بنية الملفوظ المحسوس، وهي مكان التحليلات الصوتية والبنيوية التي تناسبها لأنها لا تتساءل أبدًا عن فاعل النص ولأنها تنصب على المؤديات وليس على الأداءات». وقد حرصنا على الناحية الجمالية في صياغة المصطلح وعلى أمر آخر هو التناغم مع المصطلح الموازي Géno- texte الذي

(١٩) ترجمتنا بالاشتراك المذكورة في الحاشية (١٣)، وقد صدرت من جديد في كتاب مستقل عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر - المشروع القومي للترجمة، (٦٢)، ١٩٩٨م.

(٢٠) في الكتاب المذكور في الحاشية (١٢)، ص ٤٣ - ٦٢.

(٢١) في ترجمتهم لمقالة بارت «نظرية النص» المنشورة في حوليات الجامعة التونسية، ١٩٩١.

ترجمناه بـ«تخلّق النص» وهو عند المسدي[٢٢] «بنية النشوء» وهو غائب من معجم سعيد علوش الذي يورد المصطلح الأول ويبدو أنّه لا يعرف مقابله، وهو «النص ـ المنجب» عند الشملي وصولة والقاضي[٢٣]، وهو «النص التكويني» عند منذر عياشي، وإنّ تخلّق النص هو حقل التمعني بينما خِلْقة النص حقل الدلالة. ويتجاوز تخلق النص العلاماتية التقليدية وهو مجال تستثمر فيه العلامات الغرائز. إن خِلْقة النص هو جسد الأطباء والمشرحين، وتخلّق النص هو الجسد الحقيقي جسد المتعة.

وقد وجدنا سعيد يقطين في كتابه انفتاح النص الروائي «النص ـ السياق» يستخدم (تدليل) مقابل لـ "Signifiance" ويقابل "Phéno- texte" بـ«النص الظاهر» و "Jéno" بـ«النص المكون»[٢٤]، وقد استخدم يقطين في الفصل الثاني من كتابه (التفاعل النصي) مجموعة المصطلحات التي استخدمها جيرار جينيت في كتابه (طروس) وهو ـ يقطين ـ ينسب لنفسه مجموعة من النتائج التي انتهى إليها وهي في حقيقة الأمر ليست إلاّ ترجمة لما جاء به جينيت في كتابه المذكور، كقوله مثلاً في (ص ٩٢): "إننا نستعمل التفاعل النصي" مرادفاً لما شاع تحت مفهوم (التناص) intertextualité أو "المتعاليات النصية" transtextualité كما استعملها

(٢٢) انظر ذلك في معجم المسدي المذكور في الحاشية (٤). معجم علوش المذكور في الحاشية (١٤). وترجمة منذر عياشي لكتاب لذة النص المذكورة في الحاشية (١٦) وترجمة الشملي وصولة والقاضي المذكورة في الحاشية (٢١) ويذكر هؤلاء في حاشية ترجمتهم ص (١٦): أنهم أخذوا ترجمة المصطلحين عن مقال محمد زاهيري «نحو بنية مضادة (دلائلية جولـيا كريستيفا)»، مجلة الثقافة الجديدة، (المغرب، ع ٢٣، السنة ٦، ١٩٨٢، ص ٨١- ٩٩). وانظر «بلاغة الخطاب وعلم النص»، صلاح فضل، عالم المعرفة، ١٦٤، الكويت، آب ١٩٩٢م، ص ٢٣٠.

(٢٣) المقالة المذكورة في الحاشية (٢١).

(٢٤) انفتاح النص الروائي «النص - السياق» مطبوعات المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٩، والثانية أيضاً عام ١٩٨٩م، ص ٢٠ - ٢١.

جينيت على الأخص. . .»[٢٥]. ثم إن سعيد يقطين يلخص في الصفحات (٩٣-٩٥) مقالة مارك أنجينو؛ يلخصها وكأنها من بنات أفكاره على أنه يشير إليها بين مصادره (ص ١٠٢) ويعود في (ص ١٠٢) وما بعدها وتحت عنوان (النص والتعاليات النصية) إلى النقل عن كتاب (طروس)[٢٦].

كُلّ هذه الترجمات المتقاربة في المعنى، المتباعدة في الصياغة، تخلق نوعاً من الاضطراب في تداول هذه المصطلحات وفي استخدامها، وينبغي أن نصل إلى كلمة سواء بشأنها؛ وينبغي أن تراعي هذه الكلمة السواء الناحيتين الجمالية والمعنوية، وأن تراعي أيضاً التناظر والتقابل بين المصطلحين.

والمصطلح الثالث هو intertexte الذي يترجم بالتناص؛ وهو العملية التي يتمّ بموجبها تفكك نصّ وانبناؤه؛ فكل نصّ هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى إذْ نتعرف فيها نصوص الثقافة السالفة والحالية: فكل نص ليس إلاّ نسيجاً من استشهادات سابقة. والتناص ينضوي تحت لواء مفهوم آخر أوسع وأشمل هو مفهوم L'inter-textualité = التناصية التي هي قَدَرُ كل نص مهما كان جنسه، وهي لا تقتصر حتماً على قضية المنبع والتأثير[٢٧].

(٢٥) قارن هذا بما يقوله جينيت في «طروس» بالفرنسية ص ٧، دار النشر سوي Seuil، ١٩٨٢م.

(٢٦) ترجمنا مقالة مارك أنجينو (التناصية: بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره) ونشرت في «علامات» مجلة النقد الأدبي، المجلد الخامس، الجزء ١٩ ذو القعدة ١٤١٦هـ، مارس - آذار ١٩٩٦م.

وقد رددنا في حواشي الترجمة ما نقله الدكتور محمد عبد المطلب عن ترجمة مشوهة لهذه المقالة قدمها أحمد المديني ولخصها الدكتور عبد المطلب، فجاء التلخيص مشوهاً في مقالته «التناص عند عبد القاهر الجرجاني» المنشورة في «علامات».

(٢٧) انظر: كتابنا: آفاق التناصية - المفهوم والمنظور الذي سيصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م، سلسلة دراسات أدبية.

لقد شاع في النقد العربي الحديث مصطلح التناص ومصطلح التناصية دونما تمييز، إذ إن النّقاد يستخدمون أحدهما مكان الآخر. إنّ التناصية هي واحدة من خمس علاقات عبر نصية حَدّدها جيرار جينيت في كتابه طروس(٢٨).

قبل الحديث عن هذه العلاقات ينبغي أن نُميّز التناص من التناصية(٢٩).

فالتناص هو مجموعة من النصوص التي نستطيع تقريبها من النص الذي نراه أمامنا أو مجموعة النصوص التي نجدها في ذاكرتنا عند قراءة نصّ ما.

أمّا التناصية فهي مجموعة العلاقات التي نجدها بين النصوص، وهي تتجاوز قضية التأثر والتأثير إلى أمور البنية والنغم والفضاء الإبداعي.

ويعرّف جينيت هذا المصطلح بأنه الحضور المشترك لنَصّين أو لعدد من النصوص في نصّ آخر بتصريح أو بتلميح أو بخفاء.

وينضوي تحت لواء التصريح ما نسميه الاستشهاد، ويمكن أن نُقرب التلميح إلى مفهوم السرقات في النقد العربي القديم، وهي التي تومئ إلى الأصل دون أن تأخذه كاملاً، وفي ذلك تفصيلات لا يتسع المقام لذكرها.

أمّا الخفاء فهو ما نسميه التناص. وهو أنْ يلحظ القارئ العلاقات بين عَمَل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده. وهذا المجال هو مجال بحث اللساني المعروف ميشيل ريفاتير.

وكنّا قد عرضنا ترجمة لهذه المصطلحات(٣٠) نوردها مقرونة بما عند سعيد

---

(٢٨) Genette Gérard: Palimpsestes, Seuil, 1982, pp. 7- 16. ، وانظر مقالة الدكتور أحمد محمد قدور: بعنوان: «الظواهر التناصية في الشعر العربي الحديث»، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الحادي والعشرون ١٩٩١م، ص ٢٣٧- ٢٦٦.

(٢٩) يميز جينيت بين «التناصية» و«التناص» ويبدو أن يقطين لم يتنبه لذلك. انظر: طروس (بالفرنسية) ص ٨.

(٣٠) في بحث مخطوط ألقيناه في جامعة تشرين سورية بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٩م ولم ينشر بعد، والكتاب المذكور في الحاشية (٢٧). وانظر كتاب: تداخل النصوص في الرواية العربية، د. حسن محمد حماد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية، ١٩٩٨م، ص ٢٦- ٣٣.

يقطين لا ليفاضل القارئ بينها، وإنما لتؤكد ما قلناه عن أزمة المصطلح.

١- التناصية Intertextualité ويترجمها يقطين بالتناص في حين أنه يترجم inter-texte بالمتناص ونحن نرى أن التناص هو intertexte .

٢- الملحقات النصية Paratextualité يترجمها يقطين بـ(المناصة).

٣- الماورائية النصية أو «العلاقات النقدية» La metatextualité ou La relation critique ويترجمه يقطين بـ«الميتانصية».

ويتخلّى يقطين عن العلاقتين الأخريين وهما:

٤- الاتساعية النصّية L'hypertextualité ويتحدث فيها عن النصّ المتّسع hyper-texte والنصّ المنحسر L'hypotexte ويسميها يقطين على الترتيب (النص اللاحق) و(النص السابق).

٥- جامع النص L'architextualité ويترجم يقطين architexte بـ«معمار النص».

أوضحت هذه العلاقات لأقول: إن الفهم الخاطئ لمفهوم التناصية والتناص، وقد استقر المصطلح اللفظي أدى إلى مخاطر علمية لا يستهان بها؛ فقد رأيت بعض الطلبة في جامعة دمشق يراجعوننا لأنهم يودّون العمل في «التناص عند فلان» أو غير ذلك من الموضوعات التي يمكن أن تكون موضوع مقالة وليس موضوع رسالة جامعية. وإن العمل في هذه الأخيرة ينبغي أن ينصب على العلاقات النصيّة في أدب فلان أو العلاقات عبر النصية عند فلان، وينبغي التمييز بين التناصية كواحدة من علاقات التعدية النصية وبين التناص كقسم له علاقة بنوع الحضور الذي نجده في النص المدروس. إن العمل العلمي ينبغي أن يستند إلى أصول صحيحة وفهم صحيح ولا يكفي أن يستقر المصطلح لفظيّاً لكي يصبح موضع دراسة علمية، بل ينبغي أن تتوضّح الأصول الإبيستيمولوجية لهذا المصطلح في لغة الوصول؛ ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا إذا كان مَنْ يتولى عملية التعريب متقناً تلك الأصول التي

ينبغي أن تكون واضحة في ذهنه. إن مصطلح التناص في نظرية النص يعين على توضيح جانبٍ مهم من جوانب النص الأدبي، بل إنّ بعض النقّاد واللسانيين يقرّبه من مصطلح أدبية النص.

كان يمكن لهذا البحث أن يعالج مصطلحات أخرى كان على كاتب هذه السطور أن يجد مقابلاتها عند ترجمة مقالة نظرية النص مثل الـ énoncé والـ énonciation وقد ترجمها حينئذٍ بالملفوظ والتلفظ ثم عدل عن ذلك بعدُ في ترجماته الأخرى، وصار يستخدم مصطلحي المُؤدى والأداء، ومثل مصطلحي Destinateur و Destinataire اللذين ترجمهما بالمؤتي والمؤاتى[٣١] ليخلصهما من قضية الاشتراك التي وجدها في المرسل والمتلقي، وغير ذلك من المصطلحات التي يطول الحديث عنها ويتشعب، ولكننا نجتزئ بما قدّمناه عما سكتنا عنه.

ولابدّ من القول في خاتمة المطاف: إننا في الوطن العربي بحاجة إلى سلطة تفرض علينا المصطلح الواحد بعد أن تمرره على بساط التجربة ليثبت إنْ كان أهلاً وليتلاشى إنْ لم يكن، شريطة أن تحظى تلك السلطة قبل ذلك باحترام الجميع واعترافهم بقدراتها الأخلاقية والعلمية.

(٣١) انظر مقالنا: أزمة المصطلح في النقد الروائي العربي، مجلة الفكر العربي - بيروت، العدد ٨٣، ١٩٩٦م، ص ٧٨- ٨٥. وانظر: أنور لوقا: التساؤل على شفا المنزلق، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، أبريل (نيسان) ١٩٨٧، ص ١٧.

المصادر والمراجع

١- أنجينو، مارك. التناصية. بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره. علامات مج١٥. ج١٩ ذو القعدة ١٤١٦هـ-مارس (آذار) ١٩٩٦م. ترجمة د. محمد خير البقاعي.

٢- بارت، رولان. لذة النص. مركز الإنماء الحضاري- حلب ١٩٩٢م، ترجمة د. منذر عياش.

٣- بارت، رولان. لذة النص. المجلس الأعلى للثقافة- مصر ١٩٩٨م، ترجمة د. محمد خير البقاعي.

٤- بارت، رولان. من العمل إلى النص. شؤون أدبية. الإمارات العربية ع١٢، ١٩٩٣م. ترجمة د. محمد خير البقاعي.

٥- بارت، رولان. نظرية النص. العرب والفكر العالمي. ع٣. صيف ١٩٨٨م، ترجمة د. محمد خير البقاعي.

٦- بركة، بسام. معجم اللسانية. جروس- برس. طرابلس لبنان. بلا تاريخ.

٧- البقاعي، محمد خير. أزمة المصطلح في النقد الروائي العربي. مجلة الفكر العربي. بيروت. ع٣٨. ١٩٩٦م.

٨- البقاعي، محمد خير. آفاق التناصية. المفهوم والمنظور. سيصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب. سلسلة دراسات أدبية.

٩- الحمزاوي، محمد رشاد. في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة. مجلة المعجمية (تونس). ع٨. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠- حمودة، عبدالعزيز. المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة (٢٣٢) ذو الحجة. ١٤١٨هـ- أبريل (نيسان) ١٩٩٨م.

١١- خسارة، ممدوح. التعريب والتنمية اللغوية. دار الأهالي. دمشق. ١٩٩٤م.

١٢- عزالدين، حسن البنا. بول ريكور ومكانته في النقد الأدبي ونظريته في التفسير (مخطوط) سيصدر ضمن أعمال مؤتمر النقد الأدبي الدولي الذي انعقد في القاهرة ٢٠-٢٤ أكتوبر ١٩٩٧م.

١٣- علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. دار الكتاب اللبناني. سوشبرس. الدار البيضاء. ١٩٨٥م.

١٤- عناني. محمد. معجم المصطلحات الأدبية الحديثة. لونجمان- القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. عالم المعرفة (١٦٤) آب ١٩٩٢م.

١٦- فيلبر هـ. النظرية العامة للمصطلحية. أساس نظري للمعلومات. مجلة المعجمية (تونس). ع٢. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ترجمة د. محمد حلمي هليل ود. سعد مصلوح.

١٧- قدور، أحمد. الظواهر التناصية في الشعر العربي الحديث. مجلة بحوث جامعة حلب. العدد ٢١. ١٩٩١م.

١٨- كريستيفا، جوليا. علم النص، دار توبقال. المغرب ١٩٩١م. ترجمة فريد الزاهي ومراجعة عبدالجليل ناظم.

١٩- لوقا، أنور. التساؤل على شفا المنزلق. مجلة فصول. مج٧. العددان ٣-٤ نيسان ١٩٨٧م.

٢٠- ابن مراد، إبراهيم. في المصطلحية وعلم المعجم. المعجمية. ع٨. ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢١- ابن مراد، إبراهيم. منهجية في تعريب الأصوات الأعجمية- مجلة المعجمية ع١. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٢- ابن مراد، إبراهيم قضايا المنهج في نقل المصطلح العلمي ووضعه وتقييمه في اللغة العربية. المجلة العربية للثقافة ع٢٢. ١٤١٢هـ/ مارس (آذار) ١٩٩٢م.

٢٣- مرتاض، عبدالملك. الكتابة ومفهوم النص. مجلة اللغة والأدب- جامعة الجزائر ع٨. ١٩٩٦م.

٢٤- المسدي، عبدالسلام. قاموس اللسانيات. الدار العربية للكتاب. ١٩٨٤م.

٢٥- معلوف، سمير. إضاءات لقضية النص في التراث العربي. مجلة جامعة البعث، حمص، العدد ٩. أيلول ١٩٩١م.

٢٦- هليل، محمد حلمي. المترجم العربي والمصطلح الفني في مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية. مج٣٩. ١٩٩١-١٩٩٢م.

٢٧- يقطين، سعيد. انفتاح النص الروائي «النص-السياق». المركز الثقافي ط١. ١٩٨٩م.

المصادر الأجنبية:

1- Genette Gérard, Palimpsestes, Seuil, Paris, 1982.
2- Kristeva julia, Séméiotiké, Recherches pour une Sémanalyse, Seuil, Pris, 1969.
3- Kristeva julia, Le Texte du Roman, Mouton Publishers, Paris, 1979.

* * *